

ظلمت مرتين



تشرين الثاني | نوفمبر 2020



مقدّمة

تعرّضت المرأة السوريّة خلال الحرب لانتهاكات متعدّدة من كافة أطراف الصراع، من اعتقال وتهجير وقتل تحت التعذيب¹. بعض المجموعات المتطرفة ارتكبت انتهاكات مختلفة في المناطق التي سيطرت عليها مثل الجاد والرجم حتّى الموت² وصولاً إلى إجبار نساء -بعضهن متزوجات- على الزواج من عناصر من الجماعة.

في دير الزور شرق سوريا، كان لتنظيم الدّولة الإسلاميّة النصيب الأكبر من الانتهاكات الواقعة على المرأة إذا ما قورنت بباقي المجموعات المسلحة منذ العام 2011، وكان من أبرز هذه الانتهاكات وأكثرها غرابة إجبار نساء متزوجات تحت التهديد على الزواج من عناصر يختارهم التنظيم.

التقت منظمة العدالة من أجل الحياة³ مع أربع سيدات⁴ تعرضن لهذا الانتهاك، وافقت ثلاثة منهن على نشر قصصهن مع الحفاظ على سرّيّة الاسم وبعض المعلومات تجنباً لتعرضهنّ لأيّ خطر. روت السيدات ما تعرضن له خلال فترة سيطرة تنظيم الدولة على المحافظة، والخيارات المريرة التي واجهنها، والقرارات التي أجبرن على اتخاذها، وما نتج عن ذلك من آثار سلبية على حياتهنّ وحياة أبنائهنّ، وإنكار المجتمع المحيط لمعانتهنّ.

¹ وفاة سيّدة من دير الزور بعد اعتقالها في فرع فلسطين - منظمة العدالة من أجل الحياة-2020.

<https://bit.ly/3eGdvRj>

² مقابلة أجرتها منظمة العدالة من أجل الحياة مع شاهد على حالة رجم في دير الزور-2018

<https://www.youtube.com/watch?v=hgZvDstjr4c&t=11s>

³ <https://jfl.ngo/>

⁴ كافة أسماء السيدات الناجيات من الانتهاكات الواردة في التقرير مستعارة بناء على طلبهن.

نساء متزوجات أُجبرن على الزواج ثانية

بدور⁵ سيّدة من دير الزور، كانت تعمل ممرضة في حي الجورة⁶ في المدينة متزوجة لديها طفلين تروي لنا: "بعد حصار مدينة دير الزور⁷ من قبل تنظيم الدولة، وجدنا أنفسنا أنا وزوجي وأبنائي أمام خيارين، إمّا الموت جوعاً أو النزوح إلى مدينة دمشق، وللأسف اخترنا الخيار الأسوأ، للوصول إلى دمشق كان لا بد من المرور بمناطق سيطرة التنظيم، بمجرد وصولنا هناك اعتقلوا زوجي وفرضوا عليه دورات الاستتابة⁸ لكونه مدرّساً، وخلال هذه الدورات تم إجباره على القتال في صفوف التنظيم في حلب، ومن هناك تمكّن من الهرب باتجاه تركيا". تقول الشاهدة إن قصتها بدأت مع هروب زوجها من التنظيم: "اعتُبر زوجي مرتدّاً أمّا أنا وأولادي فسيُنظر بأمرنا قريباً وعليه يُمنع علينا الخروج من المنزل، هذا ما أخبرتني به الجسبة النسائية⁹ بعد فرار زوجي".

مرّت أيام بعد قرار التنظيم منع الشاهدة من الخروج، بعدها أبلغت إحدى عناصر الجسبة النسائية الشاهدة بقرار يخضها. تقول بدور: "كان علي الزواج من أحد مقاتلي التنظيم وإلا تعرّضت لعقاب لم يوضحوا لي طبيعته، فكّرت بالهروب إلا أن ذلك مستحيلاً لأنّ التّنقل كان ممنوعاً على النساء بدون زوج أو ابن أو أب". حقّنت الشاهدة العقوبات التي قد تطالها وأبناءها في حال الرفض. تقول: "قد يجعلون منّي جارية لدى العناصر، أو يحرّموني من أبنائي، لم يكن لدي فكرة إطلاقاً عما سيؤول إليه مصيري في حال خرجت عن طاعتهم". وفق الشاهدة لم يتبقّ أمامها سوى الزواج والانصياع لقرار التنظيم. اختار التنظيم للشاهدة زوجاً من عناصره ليبي الجنسيّة يدعى "أبو الحارث". تكمل الشاهدة: "لم يكن من حقّي سوى قول نعم عند سؤالني عن موافقي من الزواج، والتنظيم سيكمل باقي الإجراءات، وهذا ما حصل".

⁵ مقابلة أجرتها باحثة منظمة العدالة من أجل الحياة مع الشاهدة بشكل مباشر بتاريخ 23 أيلول/سبتمبر 2020

⁶ من أحياء دير الزور الغربية، بقي تحت سيطرة القوات الحكومية السورية ونقلت إليه وإلى الأحياء المجاورة له كافة مؤسسات الدولة بعد سيطرة المعارضة المسلحة وبعدها تنظيم الدولة الإسلامية على معظم أحياء المدينة بين 2012 و2017.

⁷ فرض تنظيم الدولة الإسلامية حصاراً على الأحياء الخاضعة لسيطرة القوات الحكومية السورية استمر لأكثر من عامين، من بداية العام 2015 ولغاية نهاية العام 2017. عرقلت السلطات السورية وصول المساعدات خلال فترة الحصار ما أثر بشكل كبير على توافر المواد الغذائية والدوائية.

⁸ دورات فرضها التنظيم على فئات معيّنة كالمعلّمين والمحامين وبعض الأحيان فرضها على قرى بأكملها، يتم خلالها تعليم الحاضرين للدورات مبادئ الشريعة الإسلامية وفق رؤية التنظيم، ويدي المشاركون "بدمهم" على عملهم السابق كونه -وفق التنظيم- مخالفاً للشريعة. ويُمنح المشاركون شهادة تثبت حضور الدّورة.

⁹ مجموعة نسائية تابعة لتنظيم الدولة الإسلامية مهمتها تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية التي يفرضها التنظيم على النساء وملاحقة المخالفات لهذه الأحكام.

توفي أبو الحارث في إحدى المعارك عام 2018 بعد أن أنجب طفلاً من زواجه بالشاهدة، عمر الطفل الآن 4 سنوات وهو ما تبقى لبدور. تكمل قصتها لمنظمة العدالة: "بعد سيطرة قوات سوريا الديمقراطية عاد زوجي الأول من تركيا، طلقني وأخذ أطفالني مني وغادر. لا أستطيع التوقف عن التفكير بهم، ماذا يخبرهم والدهم عنّي؟ هل يخبرهم أن والدتهم امرأة سيّئة؟ حاولت التواصل مع أهلي، لكن خوفهم مما سيقوله الناس عنّي وقف حائلاً أمام عودتي إليهم، لذلك دائماً ما يخبرون الناس أنهم لا علم لهم بأي شيء يخصني. أما أنا فلا أجرؤ على قول الحقيقة لأحد، وأخبر الجميع أن زوجي قد توفي في قصف للطيران دون تفاصيل أخرى".

وعن طفلها من زوجها أبو الحارث تقول بدور: "أكثر ما يشغل بالي اليوم هو طفلي، إذ أنّني لا أستطيع تسجيله لدى أية جهة كانت ولم أحاول خوفاً ممّا قد يسببه ذلك من مشاكل أنا بغنى عنها، كأن يتم نقلي إلى أحد مخيمات عوائل عناصر التنظيم، أو أن يتم التحقيق معي أو أن أتعرّض للانتقام إذا ما علم أحدهم بقصتي، أعرف أنّني لن أتمكن من تسجيله في المدرسة مستقبلاً لذلك سأحاول أن أعلمه القراءة والكتابة بنفسني في المنزل". وعن المستقبل تقول: "أخاف اليوم أن نكون نحن من يبني جيلاً جديداً من داعش، لا ذنب لهؤلاء الأطفال، لا يجب أن يحملوا ذنب آبائهم، يجب أن نجد حلولاً للاعتراف بهم وقوانين لعدم تمييزهم عن غيرهم بسبب ذنب لم يقترفوه".

سميرة¹⁰ في نهاية عقدها الثالث متزوجة ولديها طفلين، بعد حصار أحياء مدينة دير الزور من قبل تنظيم الدولة ومرض والدتها الكبيرة بالعمر، والنقص الحاد في المواد الغذائية والطبية في المناطق المحاصرة قرّرت التوجه إلى تركيا بحثاً عن مكان أفضل لعائلتها. تقول سميرة: "كان لا بدّ من المرور بمناطق سيطرة قوات التنظيم، وكون زوجي يعمل محامياً فكان لا يستطيع الدخول إلى مناطق التنظيم خوفاً من اعتقاله، فأن تكون محامياً جرم يستدعي العقوبة، ولذلك خرجنا أنا وأمّي وطفلي بمرافقة أخي كمحرم¹¹ لنا لتتمكن من العبور". مسحت سميرة كل الرسائل على هاتفها المحمول لكيلا تتعرض لأي مساءلة من قبل الحواجز التابعة للتنظيم، وقبل الوصول إلى حاجز بلدة عيّاش¹² سمعت صوت رسالة من هاتفها المحمول لكنها كانت خائفة جداً من أن يراها عناصر التنظيم تمسك هاتفها فيظنون أنّها تقوم بالتصوير. "لم ألق نظرة على

¹⁰مقابلة أجرتها باحثة منظمة العدالة من أجل الحياة بشكل مباشر مع الشاهدة بتاريخ 24 أيلول/سبتمبر 2020

¹¹ الذي يحرم الزوج به لرحمه وقرابته.

¹² تقع عربي دير الزور، كانت تتمركز فيها حواجز تنظيم الدولة المشاركة في حصار أحياء مدينة دير الزور.

الرسالة التي وصلتني من صديقتي، عندما أخذ عناصر التنظيم الهواتف لتفتيشها سألوا "لمن هذا الهاتف؟" وكان لي، فأخبرتهم بذلك، فطلبوا مني مرافقتهم مع أطفالي".

تحدّث سميرة لمنظمة العدالة عن التفاصيل: "اقتادونا إلى مكان مجهول، وضعونا في غرفة صغيرة مساحتها لا تتجاوز مترين وفيها دورة مياه، بقينا فيها ثلاثة أيام دون أن يتم التحقيق معنا، كُنّا ننام خلالها قرب دورة المياه، ونأكل وجبتي طعام يومياً، لم نكن نعرف شيئاً عن الوقت سوى أوقات الصلاة حيث كانوا يطرقون الباب بقوة ليخبرونا أنه حان موعد الصلاة وعلينا أن نُصلي الآن، مرض ابني بعدها وأصابه إسهال حاد فطابت نقله إلى المستشفى، هناك عرفت أنّنا في منطقة معدان بالقرب من مدينة الرقة. بعد أن تحسّنت حال ولدي الصغير أعادونا إلى نفس الغرفة حيث بقينا أسبوعاً كاملاً هناك قبل أن يتم نقلنا معصوبي الأعين إلى مكان آخر عرفت فيما بعد أنّه أحد مقرات داعش في قرية الحسينية في ريف دير الزور في منطقة مقابلة لسكة القطار".

تم وضع سميرة وأطفالها في غرفة صغيرة لها فتحة صغيرة للتنفس، كان الجو حاراً، عانت وأطفالها من صعوبة التنفس. تقول: "بعد ليلة واحدة تم استدعائي للتحقيق، كانت غرفة صغيرة أيضاً مظلمة وفيها مصباح كهربائي مغلّق وسط السقف، سألوني عن زوجي وعن أصدقائي وأقاربي وجيرانني، كنت خائفة جداً وأخبرتهم بكلّ شيء أعرفه لكنهم كانوا يصرخون في وجهي دائماً يخبرونني ألا أكذب فهم يعرفون سلفاً كل شيء. استمر التحقيق معي مدّة أسبوع بأكملي، أحياناً أكون بمفردي مع المحققين الملتهمين وأحياناً أخرى يجلبون أطفالي ويبدؤون بالصراخ علينا، يبدأ أطفالي بالبكاء من شدّة الخوف، كنت أسمع صراخ المعتقلين في الليل وهم يعذبون، كان ذلك مرعباً".

في اليوم الثامن وخلال تواجد سميرة وأطفالها في الزنزانة دخل أحد العناصر وأخبرها أن التنظيم سيذّرب أطفالها للقيام بعمليات انتحارية في العراق. تكمل سميرة: "بدأت الصراخ والبكاء، ترجيته ألا يقترب من أطفالي، سأفعل ما يحلو له، كان يجيبني بالقول "لا شيء سيمنع الدولة الإسلامية من القيام بذلك" وغادر. بعدها دخل عنصر آخر من التنظيم، بدأ يحدثني أنا وأطفالي عن الدولة الإسلامية والدّين الإسلامي، كان لطيفاً معي ومع الأطفال". تكرّر هذا الموقف ثلاثة أيام متتالية، بدايةً يقوم عنصرٌ بتهديدي ومن ثم يقوم عنصرٌ آخر بالحديث معي بلطف. بعدها بيوم أخرجوا الأطفال من الزنزانة وأبلغوا سميرة بأنه حان موعد التدريب، أعادوهم بعد ساعات ومعهم الكثير من الهدايا وُالوا لسميرة أن العنصر الذي طالما تعامل معها بلطف هو من اشترى الهدايا لأطفالها واعتنى بهم. تكمل سميرة: "جاءت إحدى عناصر التنظيم وسألتنني، هل

تريدين الخروج من هنا؟ قلت لها نعم، فقالت: إذّا لا بدّ من الزواج من أحد الأخوة المجاهدين، أخبرتها أنني متزوجة، فبدأت بالصراخ علي قائلةً "زواجك باطل، وإن كنت تريدين أن تخرجي من هنا وآلاً يتم تجنيد أطفالك فما عليك إلا بالقبول"، ثم أكملت: "بعد قليل سيأتي الشيخ ويسألك إن كنت تقبلين بفلان وكيلاً عنك، أجيبي بنعم ونحن نتكفل بالباقي". وهذا ما حصل، فلم يكن أمامي خيار آخر، كان لا بد من أن أحمي أطفالتي. ها أنا الآن قد أصبحت متزوجة من رجل لا أعرفه".

كان الزوج تونسيّاً وأنجبت سميرة منه طفلةً، بعد فترةٍ أخبر التنظيم سميرة بمقتل زوجها بقصف جوي خلال المعارك مع قوات سوريا الديمقراطية عام 2017. تتحدث سميرة عن موقف عائلتها ممّا حصل معها: "أخي لم يتقبل الموضوع، غادر إلى تركيا، يتواصل معي أحياناً ويساعدني في تأمين مصروفي ولكّته لا يزال غاضباً منّي. أمّا زوجي فقد طلقني عندما علم ما حصل معي وهاجر إلى أوروبا، وبعد سيطرة قوات سورية الديمقراطية في بداية العام 2018 أخذ أطفالتي منّي ولم أرهم منذ ذلك الوقت. وأما طفلاتي الصغيرتين فلا أدري ما الذي سيحلّ بها، فأنا لا أستطيع تسجيلها في القيود المدنيّة لأنّ ذلك يتطلب ورقة تثبت نسبها وأنا لا أملك واحدةً. أتساءل دوماً عن مستقبل هذه الفتاة التي لا ذنب لها ولكّتها تدفع الثمن مثلي".

هبة¹³ سيّدة من مدينة الزور لديها ثلاثة أطفال أخبرتنا بقصّتها قائلةً: "كنت أعيش في مدينة دير الزور عندما سيطرت داعش على المنطقة، زوجي فقد كان يعمل في السعودية. في أحد الأيام جاءت الحسبة النسائية إلى بيتي، وطلبوا مني مرافقتهم إلى مقرّهم ففعلت. عندما وصلنا سألوني عن زوجي فأخبرتهم بالحقيقة، كان ردّهم أنّ زوجي كافر وعليه فإنّ زواجي منه باطل، ولا يجب أن أعيش دون محرم وعليّ أن أتزوّج أحد الأخوة المجاهدين ليربي أطفالتي على مبادئ الدولة الإسلامية. رفضت ذلك بادئ الأمر، فقالوا لي أنهم سيمهلونني يوماً حتى أفكر في الموضوع". حاولت هبة الاتصال بزوجها في ذلك اليوم إلّا أنّ شبكة الاتصال لم تساعدها ولم يكن من السهل الاتصال من صالات الإنترنت لأنّ عناصر التنظيم كانوا يراقبونها. أتخذت هبة قرارها برفض الزواج.

عن التهديدات التي تعرّضت لها تقول هبة: "في اليوم التّالي، جاءت الحسبة النسائية مرةً أخرى إلى منزلي، وسألوني إذا ما كنت قد غيرت رأي أم لا، فأخبرتهم أنّني متزوجة ولا أستطيع الزواج من رجلٍ آخر، أخبروني

¹³ مقابلة أجرتها باحثة منظمة العدالة من أجل الحياة مع الشاهدة بشكل مباشر بتاريخ 21 أيلول/سبتمبر 2020

أته لا خيار أمامي، إمّا أن أتزوج من أحد المجاهدين أو أنّي سأعامل كجارية أنقذ ما يطلب مني دون إرادتي، فضلاً عن كوني لن أرى أبنائي مرة أخرى. قبلت الزواج حيث لم يكن لدي خيار آخر. زوجي كان عراقياً، أُسر خلال المعارك مع قوات سوريا الديمقراطية، لا أعرف مكانه ولا أريد أن يعرف مكاني هو الآخر، أنجبت منه ولدين وطفلة".

لا أحد يتواصل مع هبة اليوم ولا تريد التواصل مع أحد حيث تعيش حالة من الخوف "لا أحد من أهلي اليوم يتواصل معي، وزوجي الأوّل لم يفعل، أعيش اليوم خوفين، خوف من أن يعرف أحدهم ما حصل معي في الماضي، وخوف على مستقبل أولادي، فأنا لم أجرؤ على محاولة تسجيلهم في السجّلات المدنية خشيةً من أن يتم نقلي وأطفالي إلى أحد مخيمات عوائل داعش. مستقبل أطفالي مجهول لا أدري إذا كان من الممكن أن ننسى يوماً ما ونسامح بعضاً الآخر".